التأسيس الذي قام به المسرح المدرسي لم يوثق!

د. سعيد السيابي

إن ما ناقشته في مقالات ثلاث سابقة حول المسرح المدرسي في هذه المساحة كانت له ردود من قبل القراء وتحتم أن أختم في مقالي هذا بمحاولة التفسير والاجابة على بعض من هذه التساؤلات وكان معظمها منصبا حول: لماذا غاب التوثيق للمسرح المدرسي والمشتغلين فيه قبل السبعينات إلى الآن؟ ولماذا لم تصدر دراسة أو كتاب علمي رصين عن المسرح المدرسي؟ ومن هي الجهة التي يجب عليها القيام بذلك في ظل وجود أكثر من جهة راعية للمسرح ودعم الأبحاث العلمية في سلطنة عمان؟ وماذا شكل المسرح المدرسي لتاريخ التجربة المسرحية ككل؟ نعم أسئلة مشرعة ولكن الاهتمام وترتيب الأولويات هو ربما الإجابة الصريحة حولها.

فقدنا الكثير من المعلومات حول هذه الفترة التاريخية –هذا ليس سرا– إن لم نتداركه، فقد يضيع الجزء الباقي من الحقيقة التاريخية للمسرح المدرسي وهذا ما يجب التنبيه حوله بداية!

أما عن الجهة المسؤولة فهذا تقدير عام حول تحميل تبعات التوثيق لكل ما هو منجز عماني على القطاع الذي يحمل اسمه وهنا يمكن تحميل وزارة التربية والتعليم وهي من أقدم الوزارات التي ظهرت في التشكيل الأول للحكومة العمانية في السبعينات وما زالت تنتقل في أدوارها التطويرية وإسهاماتها في تشكيل الوعي التعليمي والتربوي، ولكن لا يمكن أعفاء بعض المؤسسات البحثية والمسؤولة عن المسرح بهكذا دور ممثلة في جامعة السلطان قابوس بقسم الفنون المسرحية، ومجلس البحث العلمي، وهيئة الوثائق والمحفوظات، ووزارة التراث والثقافة من الإسهام في هذا الجهد التوثيقي والبحثي والدراسات الرصينة حول المسرح المدرسي.

لقد وجد عنوان (المسرح المدرسي العماني) طريقه لبعض الدراسات والمؤلفات والكتب التي خرجت بشكل عام عن المسرح العماني ولكنها جميعا تشير إلى اشارات مختصرة بتواريخ وأرقام قمنا في المقالات الثلاثة الماضية بتوسيع رقعتها قبل العام ١٩٤٠ في عدد من المدارس العمانية إلا إن جميع الدراسات والكتب خرجت بإجماع كل من الدكتور عبد الكريم جواد في دراسته حول «التجربة المسرحية في عمان» والدكتور محمد الحبسي في كتابة «الحركة المسرحية في عمان» والدكتورة عزة القصابية في كتاب «رؤية في

المسرح المدرسي» وغيرها من الدراسات التي صدرت عن هذا الجانب في دول الخليج باسم بدايات المسرح المدرسي في عمان، بأن العام ١٩٤٠ وما بعده شهد ولادة محاولات مسرحية واسكتشات بسيطة تنسب لبعض المدرسين الأجانب الذي كانوا يعملون في السلك التعليمي دون إشارات توضيحية لمسميات وعناوين مسرحيات وتاريخ توثيقي تم الحفر له من خلال الأدلة والمقابلات الشخصية وإنما ما جاء في معظم المنشور هو تكرار لما قام به البحث الأقدم والجميع نقل بذات الكيفية التي جاءت دون إضافات على مستوى المضمون والجوهر لهذا التاريخ المسرحي المدرسي.

أما عن الجهد الذي قام به المسرح المدرسي في التجربة الثقافية العمانية والخليجية وبعض الأقطار العربية التي تشابه البدايات المسرحية فيها هو جهد مشهود بداية من خلال قطاع الجمهور العريض الذي جذبه، وبه تأسست الذائقة الفنية والمسرحية لأبو الفنون، وفي سلطنة عمان فإن نسبة الجمهور الذي يحضر ويتابع الفعاليات المدرسية والتعليمية ذو قطاع عريض حيث يوجد في معظم المحافظات والولايات والطلبة وجيل الشباب المستنير بحد ذاتهم عددهم كبير ونسبتهم في السلطنة تزيد عن ٣٦ ٪.

المسرحي (مارون النقاش) أحد أعمدة المسرح العربي قال في مجمل حديثه عن مسرحية "البخيل" ١٨٤٧م: «إن للمسرح وظيفة تعليمية الهدف منها نقل درس أخلاقي ضمن موقف درامي معين". إن ما قام به المسرح المدرسي العماني ويقوم به حاليا في ظل التطور التاريخي ووجود كوادر مسرحية مؤهلة مسرحيا وحازت على شهادات تعليمية عليا وتتواجد في مديريات المحافظات هو منجز نفتخر به مع تأكيد أهمية أن يكون هناك الدرس المسرحي في المدارس والمقرر المسرحي الذي يختاره الطالب كجزء من حقه في التعليم الفني والابداعي ويكون المشرف في المدرسة مؤهلا تعليميا وفنيا لتوصيل التجربة المسرحية الحقيقية وليس قشورا ومحاولات شخصية مكتسبة يقوم بها مدرسو المواد الأخرى كاللغة العربية والتربية الفنية أو الرياضية فالمسرح أصبح مقررا أصيلا في عدد كبير من الدول التي تحقق عوائد حقيقة من التعليم النظامي

إن مراعاة الأنشطة الموازية للطلبة وصقل مواهبهم كفيلة بتشكيل جيل سوي يُعتمد عليه ولا يكون عرضة لكل رياح التغييرات وخصوصا المادية من الثقافات العابرة والأفكار الهدامة فعندما تحبس بداخل الطلبة الطاقات نحو الاستنارة والابتكار وتقوية الشخصية وهذا ما يقوم به الفن المسرحي المدرسي بكل تخصصاته من تنفيذ الديكور والتمثيل والكتابة وغيرها، فبهذا الضعف في تقديم ادوات تعليم عصرية ومجدية تسهم المؤسسات التعليمية في تهديد كيانات الطلبة النفسية والوجدانية فكبت الطاقة العقلية غير المستغلة و غير المستثمرة يجعل من الطلبة في موضع المظلوم والغير مفيد انتاجيا فكما نعلم بأن المواهب تختلف والقدرات والملكات التي وهبنا إياها الخالق متنوعة بتنوع اختلافنا البشري وأعمارنا والمجتمع وبنائه هو الضحية في التقصير التعليمي بكل تأكيد.

قال الفيلسوف الألماني (إيمانويل كانت) لكي تغيروا المجتمع ينبغي أولا أن تغيروا العقليات السائدة فيه عن طريق التعليم والتثقيف والتهذيب. وهذا بالضرورة أحد أهم منجزات المسرح المدرسي الذي يقوم بها، فهو إلى جانب دوره الترفيهي والمتعة التي يسعى لتحقيقها للطلبة والمتلقين من الجمهور من الآباء يقوم بأدوار توصيل الرسائل المجتمعية التي تمس التعليم والمنهج المدرسي وتبسيطه وتكون نجاعته بوصوله بطريق التمثيل وليس الارشاد المباشر فهنا يحدث التوجيه السليم والمكسب في التعلم وتوصيل المعلومة الصحيحة وليس الحفظ بهدف الامتحان كما هو متبع في التعليم المتواضع.

مقولة الكاتب المسرحي السوري مؤلف مسرحية «كاسك يا وطن" محمد الماغوط:

لا تكن ودودا»..... فهذا زمن الحقد

لا تكن وفيا»....فهذا زمن الغدر

لا تكن نقيا»....فهذا زمن الوحل

لا تكن موهوبا»...فهذا زمن التافهين

لا تكن قمة»... فهذا زمن الحضيض

لا تغث ملهوفا»...فهذا زمن الأبواب المغلقة..